Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

على أن هذه التيارات المتصارعة في نفسه ظلت تحتدم وتحتدم ، وتقتتل اقتتالاً عنيفاً ، حتى هدت قواه وأصابته بالانهيار والانحدار . فوفد الحزن الكثيف على نفسه ، واصطلحت على جسده الأمراض والعلل ، وزحف اليأس على وجدانه . وأضحى هذا الشاعر الفارس الطموح الممتلئ كبرياء وعزة وعظمة وعتواً ، أضحى شبحاً ذليلاً منكسر النفس موهون المشاعر . موءود الكبرياء . يحس بالفقد والغربة ، وتزلزله فكرة الزمن وزحف الأيام ، وصراع الحياة .

ونحن نرثي لأحزان الشعراء ، ونتألم لعاديات الأيام حينما تعصف بمشاعرهم ، فما بالك إذا كان هذا الشاعر إنساناً عظيماً كأبي الطيب المتنبي .

ما أفدح أحزان الرجل العظيم . وما أشد تعاطفنا مع تلك الآلام العظيمة ! ! .

وإن كان من الحق أن نذكر أن تلك المأساة التي عاشها المتنبي في مصر ، وما صاحبها من أهوال وآلام ، كان لها أعمق الآثار على شعره ، فقد تحول إلى لون من الغناء الذاتي الحزين ، وراح يتأمل الحياة تأملاً حاداً متوهجاً ، ولا أقول تأملاً فلسفياً ، وظهرت فيه الحكمة الكونية ممزوجة بهياج العاطفة ، واحتدام المشاعر . وظهرت على بعضه مسحة من الحزن الهامس الأليم .

ولعل تلك الملامح الفنية والجمالية التي ظهرت على شعره في مصر ، تجعلني أعتبر القصائد التي قالها في مصر ، والتي يطلق عليها – عادة – « المصريات » من أحسن أشعاره ، من الناحية الفنية . وهي في مستوى شعره في سيف الدولة « السيفيات » ، إن لم تفقه روعة وجمالاً . فقد تناولت موضوعات لم يكن المتنبي يتناولها عادة ، لأنه كان مشغولاً بأمجاده وطموحه ، وتطلعاته .

ففي مصر وقع في قبضة حزن كوني مدمر . جعله يصغي إلى ما يحتدم في باطنه ويصوره في مقطوعات غنائية حارة عميقة متوهجة .

وفي تلك الفترة لم يأنف من تسجيل أوجاعه النفسية وأوصابه الجسدية في قصائده .

وكثرت في قاموسه الشعري تعبيرات كثيرة تصور الموت والفناء والذل . وانعدام الأمن ، وافتقاد الملجأ والسكن .

على أن أهم ما طرأ على شعره في تلك الفترة : هو إحساسه الحاد بالزمن وتصويره لهذا الإحساس .

وفكرة الزمن وإلحاحها على مشاعر الناس فكرة معاصرة ، كثر تناولها في